طه حسين ورؤيته في الأدب والفكر والترجمة

إكرام بقدور –طالبة دكتوراه

جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان

الملخص :

كان التعبير عند طه حسين مقترنا بثورة الفكر وتحرير العقل من الأغلال، وكانت الترجمة عنده الجسر الذي تعبر فوقه ثقافات الشعوب، فيتصل بعضها ببعض، وتتم عملية التفاعل .

وطه حسين من مناصري الترجمة إلى اللغة العربية، فهي عملية تمهّد للنهضة، ومذهب التّرجمة لديه، أن تكون سهلة واضحة، وباللغة التي يتكلّمها النَّاس ويفهمونها.

كما ذهب إلى أنَّ التّرجمة سواء أكانت شعرية أم نثرية تذهب بجمال النّص الأصلي، إذ لا توجد ترجمة دقيقة، فالمترجم ليس ناقلا كلاما فحسب بل هو مبدع بنحو خاص .

الكلمات المفتاحية :

أسلوب – طه حسين – الترجمة – البؤساء .

SUMMARY ;

Expression for Taha Hussein was equivalent to thinking's revolution and mind's liberation from shackles .

So, translation was always the bridge on which pass people's cultures and allowed communication between each other, then interaction occurred .

Taha Hussein was among the defenders of translation to Arabic . According to him, it is an operation which leads to the renaissance .Translation for him must be easy, clear and use an understood spoken language by people .

He said also that translation, whatever it is poetry or prose, is not faithful in terms of the beauty of the source text, because there is not a rigorous translation .

So, the translator is not only a speech vector but a special creator .

Keywords

* style * Taha husein * translation * miserables

تمهيد :

ليس من اليسير وسهولة التعرف على مدى أصالة بعض الأعمال الفنية لما فيها من بذل الجهد والعناء الكبيرين، فكثير من النقاد يغريهم البناء – الشكل – دون المضمون أو العكس ...والبعض الآخر يسحره الصراع أو ينصاع وراء التشويق، أو ينفعل بحدث معين، والحقيقة ليسوا جميعا في مأمن من الخطأ، ذلك أن قيمة الفن الحقيقية لا تكمن في جانب دون آخر، وإنّما هي كامنة في تفاعل واجتماع هذه العناصر برمّتها في تشابكها وتداخلها.

يجمع أنصار الترجمة ومُمارسوها على أنّ من أعظم مشاكلها: هي عجز المترجم – أياً كان– في توصيل المعنى الدقيق لأية مفردة في النص الذي يريد نقله إلى لغة أخرى، وترجع هذه المشكلة إلى عدة عوامل، أهمها :

- إنّ كل لغة تحمل في طياتها العديد من المرادفات التي تختلف في معانيها اختلافا طفيفا عن بعضها البعض، ويرى الكثيرون أنّه لو لم يختلف المرادف (أ) عن المرادف (ب) لما وجد الاختلاف في شكل الكلمة ولا في هيئتها.
- إن كل لغة لا بد وأنها تنتمي إلى ثقافة معينة، ومن ثم فإن المترجم قد ينقل الكلمة إلى لغة أخرى ولكنه لن يستطيع أن ينقل ثقافة هذه الكلمة بشكل فعّال.
- إن لكل لغة طابع خاص في تركيب الجملة وترتيب مفرداتها (أي القواعد) فمثلا، اللغة العربية تحمل في طياتها الجملة الاسمية والجملة الفعلية، بينما لا توجد الجملة الاسمية في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال، فكل الجمل الإنجليزية هي جمل فعلية، وبالتالي فإن اختلاف التراكيب القواعدية للغات يجعل من مشكلات الترجمة عدم وجود مقاييس واضحة لنقل التراكيب، هذا بعد النقل الناجح للكلمة واختيار المرادف المناسب ذو المعنى القريب للكلمة، والتي يجب أيضا أن تتحلى بثقافة اللغة والهدف حتى يصل المعنى صحيحا دقيقا وسليما من ثقافة المصدر لعملية الترجمة.

1. *اللغة والأسلوب* :

كانت ثورة التعبير عند طه حسين مقترنة بثورة الفكر، ومترصدة لتحرير العقل من الأغلال، وفك أغلال الأدب من العبودية؛ وفي هذا الصدد يقول: « ذلك أن الفن حرية لا رقّ، فإذا أردت من الشباب أن يذوقوا الفن، ويسيغوه، ويحاولوه، ويبتكرونه، فاجعلهم أحرارا، لأن الفن أثر من آثار الأحرار لا من آثار العبيد » [1].

والذي ساهم في إرساء العلاقات الثقافية مع أوربا أن اللغة الفرنسية كانت تدرس في كل المدارس الابتدائية والثانوية بموازاة الدروس التقليدية في الكتاتيب والمساجد، كما استقدمت الجامعة المصرية القديمة ...مستشرقين جاؤوا ومعهم طريقة جديدة في التفكير ومناهج جديدة في تناول القضايا الأدبية، يقول طه حسين: « كان لسنة 1908 في مصر مذهبان في درس الأدب أحدهما مذهب القدماء والآخر مذهب الأوربيين استحدثته الجامعة

المصرية بفضل المستشرقين» [2]، وقد تأثر طه حسين في درس الأدب بالأستاذين الجليلين: محمد عبده والشيخ المرصفي الذي لازم هذا الأخير أربع سنين نشأ خلالها بينهما ود كبير وله الفضل الكبير في تكوين شخصية حرة لا تخضع للمؤثرات الخارجية، كما تأثر بمجموعة من المستشرقين منهم: ليتمان LITMANE الذي قام بتدريسه اللغة السامية والسريانية وجاء نلينو NALLINO في درس تاريخ الفلك عند العرب .

ومن صفحات الجزء الأول من الأيام ندرك أن طه حسين لم يستسغ طريقة علماء الريف وبرّر موقفه منهم حين قدّمهم واحدا تلو الآخر، من مثال ذلك يصف كاتبا في المحكمة الشرعية فقال: « يمتلئ شدقه بالألفاظ حين يتكلم فتخرج إليك الألفاظ ضخمة كصاحبها تصدمك معانيها..» [3].

وكانت من خصائص الكاتب أنه لا يستمد أدبه من شخص واحد محدد، بل كانت لديه الكثير من المنابع، بَدْءًا بالكتّاب، الأزهر الشريف، ثم الجامعة المصرية القديمة، وبعدها تعليمه في فرنسا، استخلص منها ما يراه يناسب تقنيته في الكتابة وما هو مقتنع به فيقول أحمد علبي واصفا كيف تكوّنت شخصيّته في الكتابة: « وإنما يستمد أكثر فنه وأكثر شخصيته من أشياء أخرى ليس له حياته فيها، فالفرد نفسه ظاهرة اجتماعية... وإنما جاء من أسرة أولا ولم يكد يرى النور حتى تلقته الحياة الاجتماعية فصورته في صورتها وأخضعته لمؤثراتها التي لا تحصى» [4] .

فقد أسقط الكاتب ملامح شخصيته على النص شكلا ومضمونا، وهذه المنهجية من خبرته في الحياة ففي جدة الموضوع وطريقة تناوله بأسلوب حديث ما يدل على شخصيته ، فطه حسين علامة بارزة في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة بميله إلى التجديد وازدواج ثقافته العربية والغربية وبُعْدُهُ عن الغلو؛ فهو يكتب بأسلوب يستعين فيه تارة بالقصص وأخرى بالسرد والتشويق ومرة ثالثة بالتكرار، حتى وصف أسلوبه بالسهل الممتنع فيسرد ذلك قائلا: « أعتقد أني لم أعرف أسلوبي في الحياة إلّا شيئا فشيئا... لأن هذا الأسلوب نفسه لم يتكون إلاّ قليلا قليلا... فرضته عليّ ظروف الحياة، وهي التي استخرجته من أعماق طبيعتي استخراجا بعد أن كان كامنا فيها، وأول ما استكشفت من هذا الأسلوب خصالا أرى أنها صحبتني منذ الصبا حتى الشيخوخة، فكونت مذهبي في الحياة... وهي ظمأ إلى المعرفة لا سبيل إلى تهدئته، وصبر على أفكاره، ومغالبة للأحداث، وطموح إلى اقتحام المصاعب في غير حساب للعواقب، وجهر بما أرى أنه الحق مهما يعرضني له ذلك من الخطوب، ثم شعور كأقوى ما يكون الشعور بالتضامن الاجتماعي يفرض عليّ أن أحب للنّاس من الخير ما أحب لنفسي » [5]. وجسّد ذلك في العديد من أعماله مثل: شجرة البؤس، مستقبل الثقافة في مصر، المعذبون في الأرض...إلخ صوَّر من خلالها مختلف مظاهر البؤس الموجودة في مصر، وتكبَّد من أجل هذه الآراء متاعب كثيرة كمصادرة كتابه **"المعذبون في الأرض"** ومنع طبعه في مصر.

إنّ تأثيراته في مجالات عديدة تواكب نهضة أدبية تساعده على بث روح تجديدية في الأدب وتضيف "وداد قاضي": « و كان له أثر كبير على الدراسات الأدبية بالجامعة المصرية، وأثر لا ينكر على السياسة التعليمية في مصر، وأثر أكبر بكثير على الأدب العربي الحديث؛ ولقد أثارت مقالاته وكتبه العديد من المناقشات » [6].

ومن هذه المناقشات موضوع الثقافة السكسونية واللاتينية مع عباس محمود العقاد «كان هذا محور المناقشة الأدبية التي دارت بين عباس محمود العقاد وطه حسين في عشرينيات – القرن الماضي– (1900)، وتحمس العقاد للثقافة السكسونية التي عرف من خلال لغتها الانجليزية آفاق الفكر الحديث والقديم، فأسهب في بيان فضلها وتفوقها بينما تحمس طه حسين للثقافة اللاتينية التي أطل من خلال نافذة لغتها الفرنسية على الساحة الواسعة للفكر العالمي»[7].

2. منهج الشك لدى طه حسين :

إنّ المنهج الذي أسس عليه طه حسين بحثه في الشعر الجاهلي هو منهج لم يألفه المفكّرون والنقّاد العرب المعاصرون له، رغم أن أصوله موجودة في الدراسات العربية القديمة؛ إنّه منهج الشك الديكارتي. « فلم يكن طه حسين أول من تحدث عن مسألة النحل في الشعر العربي القديم، أو حاول الوقوف على أسباب هذا النحل وناحليه، إنّما تلك أمور خاض فيها علماء الأدب واللغة ابتداء من القرن الثاني للهجرة» [8] فهناك إشارات لبعض العلماء الرواة في القرنين الثاني والثالث إلى الوضع والنحل في الشعر الجاهلي، ومن ذلك ما ذكره أبو العلاء وأبو عمر و الشيباني [9] .

لم يفعل طه حسين ذلك متبنيًا فلسفة ديكارتية في التفكير، وإنما وقف عند حدود الشك المنهجي لديكارت مطبقاً على الأدب، والحقيقة أنه ليس فيه من ديكارتية غير هذا المظهر الخارجي، لقد واصل طه حسين في الحقيقة طريقه العقلي الصارم الذي بدأه برسالته عن أبي العلاء، ولم يكن الشك الديكارتي جانب من منهجه العقلي العام، ولكنه ليس سمته الأساسية، بل لعلنا نجد في هذا المنهج العقلي سمات ديكارتية أخرى غير الشك مثل الوضوح والتمييز في الحكم والتعبير والتحليل، على أن المهم أن أؤكد على أن هذا المنهج العقلي في صياغة الظواهر التاريخية والأدبية وتفسيرها، لم يكن مجرد تطبيق للشك الديكارتي، ولم يكن تبنيًا للفلسفة الديكارتية وإشاعة لها كما قد يقال أحياناً، وإنما هو امتداد للمنهج العقلي الصارم الذي أخذ به نفسه منذ بداية حياته العلمية.

اتخذ طه حسين المنهج العقلاني سبيلا لعمله، وهذا بسبب تأثره بالتيارات الاجنبية اثناء دراسته بفرنسا، فاهتم بالمظاهر الاجتماعية يقوّم فيها الاعوجاج إذا كانت معاصرة له، أو يسرد ويكشف مآرب حوادث تاريخية للاستفادة من تجاربهم فكان « موقف طه حسين في مختلف الميادين التي عارك فيها، كان يصدر عن ركائز فكرية انعكست في منهج عقلاني، كان البوصلة الهادية له فيما يقول ويعمل ويكتب و يحكم، لم يكن منهجا متكاملا صارما ناجزا، وإنما كان محصلة على تفتحه على الثقافة الأوربية بتياراتها المختلفة، دون أن يحصر نفسه في تخوم إيديولوجية معينة لا يعدوها، ومن هنا نجد هذا الإعلاء النبيل لدى طه قيم العقل والفكر والأدب وللذات المبدعة الحرة، كما نعثر على مسايرة اجتماعية تتمثل في مظاهر شتى مثل اهتمامه بحركات التمرد في التاريخ الإسلامي كما تتبدى في حركات الخوارج وثورة الزنوج أو نظير كتابته عن معاصريه الذين خرج من بين هؤلاء "**المعذبون في الأرض**»[10] .

3. ثورة الإبداع الفنية :

إن طه حسين ابن مرحلة انتقالية من مرحلة عقلية القرون الوسطى الغيبية وولوج العصر الحديث الذي يتمتع فيه العقل بالسيادة، لكن طه حسين يخشى علينا من هذا الطلاء الحضاري الخادع، «ولكن يظهر أن الحضارة لا تكتسب بالاختلاف إلى الجامعات والحصول على الدرجات والألقاب، وإنما هي ثقافة يجب أن تتثقف بها النفوس وأن تتغلغل في أعماق الضمائر وان تؤثر أشد الأثر فيما يعمل الناس وما يقولون. وأكاد أعتقد أن الحضارة والثقافة في بيئتنا الحديثة ما زالتا أشبه بالطلاء الذي يستطيع أن تثبت لحر الشمس وتقلب الجو ولا يكاد يمتحن حتى يذوب و يتكشف عما وراءه من هذه النفوس القديمة التي لم تهذب تهذيبا أصيلا وإنما هذبت تهذيبا متكلفا طارئا لا يقدر على مقاومة المنافع و الآراب والأحداث» [11]. هذا الإيمان بقيمة الأدب وبرسالته السامية، إذ أسلوبه تكوَّن من اللَّبنة القاعدية أي الصياغة التقليدية وتطور بالمناهج الجديدة.

ويؤكد طه حسين أن الأديب ابن بيئته يؤثر ويتأثر بها ، والوعي العميق الصادق ينتج لنا إبداعا ، يضيف مصرى عبد الحميد حنورة: «والفن عند طه حسين هو الذي يرفض الاختيار، وهذا يؤكد حرية الكاتب وعدم خضوعه لأهواء أشخاصه... و التي تشكل القاعدة الأساسية الراسخة للسلوك الإبداعي والذي يتطور، ويتكون من خلالها للأداء الإبداعي الفعَال حيث... الوعي الذاتي العميق و الإرادة الحرة الفاعلة والتحرك في اتجاه المستقبل هي في صميمها وعاء يضم المبدع و الواقع الذي يعيشه »[12].

فيجب على الكتَاب المبدعين أن يلتزموا بقضيا تؤخذ منها العبرة والموعظة، يقول طه حسين في كتابه "**المعذبون في الأرض**" : «الكتَاب البارعون في الفن يؤرخون عقولهم وعواطف عقولهم ،وأحزان ضمائرهم، إلى آخر الحديث، يجعلون من هذا كله عبرة لمن يريد أن يعتبر، وموعظة لمن يريد أن يتّعظ، فيجعلون من أنفسهم أساتذة في الأخلاق ومصلحين لنظم الاجتماع ويرضون عن أنفسهم كل الرضا »[13].

أما القهر السياسي وإن كانت له شروره إلَا أنه بمثابة النار التي تفضي إلى نهوض الأدباء فتتميز أعمالهم بالصدق الفني لأنهم يعيشون في خضم الظلم « ينضج العمل الأدبي وتحتشد أعمال الأدباء بالرمز والإشارة التي تضفي غموضا على العمل الفني وتسمح له بتأويلات شتى » [14]. و يكون معظمها من إسقاط القراء لظروفهم الاجتماعية التي يعانون منها على ما يقرؤونه أكثر مما هي مستمدة من جوهر العمل الفني، وفي هذا يتحدث طه حسين: «وأيّ شيء أدلّ على ذلك من هذا الأدب الجديد الذي أنشأته حكومات الطغيان إنشاء حين اضطرت الكتاب إلى العدول عن الصراحة إلى فنون من التعريض و التّلميح، ومن الإشارة والرمز حتى استقل هذا الأسلوب بنفسه وتنافس القراء فيه تنافسا شديدا، وجعلوا يقرؤون ويؤولون ويناقش بعضهم بعضا في التأويل والتحليل، واستخراج المعاني الواضحة الإشارات الغامضة [15]» .

إنّ البنية الاجتماعية لمجتمع ما، في فترة الأزمات والتحولات وما يصحبه من خلل في ميزان القيم آثاره المزلزلة على نفسية المبدع وفكره فالشاغر أو الكاتب ابن بيئته يؤثّر فيها ويتأثر، فتنعكس بدورها على بنية عمله الأدبي من بينها القصة القصيرة وهذه الفترة نشأ فيها طه حسين «ومن ذلك يبين إيثار طه حسين لقالب المقال

القصصي وتنكب القصة القصيرة التي تخلت عن التعبير عن حالة القلق التي تطبع حياة مجموعة كبير من الناس في أواخر الثلاثينيات »[16].

عرف طه حسين أدباء فرنسيين من بينهم **"بول فاليري"*** [17] الذي كان يكنّ له الإعجاب الشديد ويستمتع بأحاديثه وشمائله، كذلك كانت تجمعه الصداقة بالأديب الفرنسي **"أراغون"***[18]، «و في كتاب **"فصول في الأدب والنقد"** سنة **1945** تحدّث عن فاليري وفولتير و سارتر وغيرهم، بل إن هذا الكتاب الكبير يكاد يتناول في غالبية صفحاته شؤونا وشجونا متصلة بالأدب الفرنسي أو الأوربي عامة، ومما هو جدير بالملاحظة واستوقف نظرنا أن طه احتفل بالأدب الفرنسي الكلاسيكي .»[19]

والكاتب لا يستمد أدبه من شخص واحد وإنما يستمد فنه وشخصيته من أشياء غير متوقعة، فالفرد نفسه ظاهرة اجتماعية لا يتحكم في بيئته وتقتصر سيطرته على أقواله وأفعاله ضمن المبادئ التي يؤمن بها ويقول طه حسين أن أسلوبه انصهر عبر تجاربه المختلفة : «أعتقد أنني لم أعرف أسلوبي في الحياة إلاّ شيئا فشيئا ...لأن هذا الأسلوب نفسه لم يتكون إلاّ قليلا قليلا فرضته علي ظروف الحياة وهي التي استخرجته من أعماقي استخراجا ...فكونت مذهبي في الحياة »[20].

والمبادئ التي اعتمد عليها طه حسين تتلخص في عدة خصائص لخّصها مصرى عبد الحميد حنورة :

- **أولا**: إعلاء وتقدير تاريخ الرومان وأدب اليونان والفلسفة الهيلينية لأن هذا التراث هو مصدر الفكر البشري كله.
- **ثانيا**: أسلوب الفكر الحر في محاربة العقائد الهدامة ودفعا للثقافة.
- **ثالثا**: الاهتمام بدراسة رينان وفولتير باعتبارهم أعمدة الفكر الحر المعارض للمسيحية في الغرب.
- **رابعا** : إحياء الكتب القديمة »[21]

لأن الأدب اليوناني من منطلق طه حسين يتميّز بالأقدمية والأصالة ،وليس له مثيل في كل اللغات يقول في كتابه من حديث الشعر والنثر: «الأدب العربي شعره ونثره وعلمه وفلسفته لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقلّ عن الآداب القديمة، بل هو متقدم على اللاتيني والفارسي ...وأن الأدب العربي ينحني له مع شيء من الإجلال الذي تملؤه العزة فهو الأدب اليوناني »[22].

والعقل الحر هو الذي لا يقبل أن يفرض عليه توجه سياسي سواء كان قولا أو فعلا في شتى المجالات، بل لمحاربة الأفكار الهدّامة، ويسعى إلى بث الوعي بين أفرادها، وقد تكلم طه حسين عن معانات المصريين في الكثير من مقالاته وكتبه الروائية مثل: شجرة البؤس، دعاء الكروان، المعذبون في الأرض. ولازم الكثير من الكتب القديمة من خلال تحقيقه العديد من المخطوطات وتناوله التراث العربي القديم .

4. مذهب طه حسين في الترجمة :

كانت الترجمة دائما الجسر الذي تعبر فوقه ثقافات الشعوب فيتصل بعضها ببعض وتتم عملية التفاعل و التّثاقف وذلك أنّها عند طه حسين ينبغي: «أن تكون سهلة يسيرة واضحة وباللغة التي يتكلّمها الناس ويفهمونها خالية من الغريب وان يكون الكلام فيها عذبا منسجما لا يصرف عن المعنى ولا يلهي عن الموضوع إلاّ ان يكون الأصل نفسه غامضا ،فينبه المترجم عليه أو أن يكون صعبا »[23] .

وكان طه حسين من مناصري الترجمة إلى اللغة العربية، فهي عملية تمهد للنهضة وتقوّم الفكر، وتساعد على التطور، فمن غير الممكن نهوض أيّة دولة دون الاعتماد على ما سبقها، ونفس الشيء ينطبق على الأدب، وهذا ما يؤمن به طه حسين فيقول: « كنت و- لا أزال - شديد الإيمان بأنَّ الأدب الحيَّ لا يستطيع العزلة، وإنَّما هو مضطر إلى أن يتصل بالآداب الحيَّة الأخرى، وسبيله إلى ذلك النقل والترجمة والتلخيص والتعريف بالأدباء من الأجانب ...وكنت مطمئنًا إلى أنَّ سلوك هذه الطريق سيزيد أدبنا العربي قوة الى قوة ويمنحه حياة إلى حياة، وسيمنح لغتنا العربية حظًا من المرونة فيمكنها من أن تؤدي معاني وأغراض لم تتعوَد أن تؤدِيها من قبل »[24].

بدأت حركة الترجمة بالتَّمصير الذي يخضع الصُّورة الغربية للواقع الذي يعيشه المترجم وللأساليب السائدة في عصره، وأوَّل اتصال هام في العصر الحديث بين مصر والغرب هو حملة نابوليون بونابارت سنة 1798 التي هزت المصريين من ثباتهم ولكن «العلاقات اتَّسعت في ولاية محمد علي الذي اتجه بصورة أساسية صوب فرنسا الذي أرسل إليها بعثات طلاَّبية عديدة، وأول كتاب مصري يصور فرنسا ويكشف بعض مظاهر حضارتها هو تخليص الإبريز في تخليص باريز لرفاعة الطهطاوي »[25] وقد حاول بعد عودته من أوربا أن يقنع أولياء الأمر بإصلاح الأزهر، وذلك بإدخال علوم إليه تعد مكمن قوَّة أهلها وسبب نهضتهم .

كما اشترط أديبنا المصري وجوب اغتراب الكتَاب والشَعراء، لأن الاغتراب عن الديار يجيش خواطرهم وعواطفهم ويهيئهم للتفكير والتأمُل، فيقول: «التنقل في أقطار الغربة يثيران في نفس الكاتب من العواطف والخواطر ما لا تثيره الإقامة والاستقرار، ومما يهيئان الكاتب تهيئة خاصة للشعور والحسِ والتفكير والتعبير، لا تستقيم له حين يكون مقيما مستقرا في داره بين أهله ومواطنيه، يرى كل يوم مثل ما كان يراه من قبل»[26] .

وهي تجربة خاصة عايشها وتأكد من جدواها ؛لذلك عرضها على القرَاء قائلا: «هذه لحظات أدبية، قضيتها أيَام الشباب بين أدباء الغرب وقرَاء الشرق، وكنت أجد فيها من رضى العقل، ونعمة البال، وراحة الضمير شيئا كثيرا، فقد كنت أحس حين أقرأ هذه الآثار الأدبية، وحين أعرضها على قرَاء العربية أني أنهض بواجب خطير، وهو تحقيق الصِلة العقلية بين الشرق والغرب، وكنت أنتظر للنهوض بهذا الواجب الخطير ذو نتائج ليست أقل منه خطرا »[27].

وفي هذا الصّدد ،يحذِر طه حسين من النَقل الأعمى، والذي يكون بنتائج عكسية ويقوم بتهميش التراث العربي، ووجوب الموازنة بين الأصالة والمعاصرة لنخرج بأدب عربي يساير التطورات الحادثة، ويبقى حيّا: «وكنت -

ولا أزال – مؤمنا بأن الأدب الحي لا ينبغي أن يتهالك على الآداب الأجنبية، ينقل منها ويترجم عنها،...فليس له بد من أن يوازن بين قوته التي تأتيه من نفسه وهذه القوة الطارئة التي تأتيه من غيره » [28]. على أن لا يغفل عن أهمية تراثنا ،فيقول أيضا: «نحب لأدبنا القديم أن يظل قواما للثقافة وغذاء للعقول، لأنه أساس الثقافة العربية، فهو إذن مقدِم لشخصيتنا، محقق لقوميتنا، عاصم لنا من الفناء في الأجنبي، معينا لنا أن نعرف أنفسنا ... ولكننا نحب أن يظل أدبنا القديم أساسا من أسس الثقافة الحديثة [29]».

ومن مستلزمات الأدب المترجم عند طه حسين، هو التمهيد ،والتعريف بالموضوع الذي يريد ترجمته، أو الشخصية المراد ترجمتها، فالمترجم ليس ناقلا كلاما إلى كلام، وإنّما هو مبدع بنحو خاص « ليس هو بالقارئ المستريح ولا المنتج النابغة، ولكنه صلة بين الرجلين لاحظ من راحة الأول، ولاحظ من مجدِّ الثاني وإنّما هو خادم مخلص، مؤثر أمين، يرفع القارئ إلى حيث يذوق الفن وجلاله، ويشق لآثار النابهين من الأدباء والفلاسفة طرقا جديدة إلى عقول الناس وقلوبهم ...على مختلف البيئات والأجيال» [30]. فلا يمكننا أن نتعرَّف على مدى أصالة الأعمال، إلاَّ بعناء كبير لأنَّ النُّقَّاد أنفسهم يختلفون في تحليل النص المترجم من حيث المعنى ومن حيث الشَّكل .

وقد تكون مقاربة المترجم للمبدع عند طه حسين، سببا من أسباب تعدد الترجمة لأثر واحد في اللغة الواحدة، فالترجمات كالإبداعات «تتفاوت فيما بينها دقة وتقصيرا، وجودة ورداءة، وفيها يرتقي لفظه، أسلوبه، وأداؤه، وفيها ما يضطرب لفظه، ويفسد أسلوبه ويسمج، أداؤه» [31].

كما تطرق طه حسين إلى أنّ الترجمة تذهب بجمال الأصل، سواء شعرا أو نثرا، والتَّلخيص كذلك لا يبقي من الأصل إلاَ المعنى، فيقول: « الترجمة عموما تذهب بجمال الأصل، وإنَّ التلخيص يذهب بجمال الترجمة إلى حد أبعد » [32] .

وكان مبعث تفكيره في مجال الترجمة أن يشجّع عليها، لأنّها تزيد من موسوعتنا الثقافية، وتبقينا مواكبين للتغيرات الحادثة، ومع ذلك فإنَّ الَّذين يتقنون اللُّغات الأجنبية قليلون فشرح ذلك قائلا: « حظّنا من الثقافة الواسعة العميقة قليل جدا، مما ينبغي لنا في هذا العصر الحديث ،وفي هذا القرن الذي كثرت فيه أنواع المواصلات بيننا وبين العالم الخارجي، وأنّنا لا نقرأ الكتب في لغاتها المختلفة؛ لأنَّ الذين يحسنون اللُّغات الأجنبية على كثرتها و اختلافها قليلون ،وأنَّ عقولنا كانت محتكرة للغة أجنبية هي الفرنسية فترة والإنجليزية فترة أخرى» [33].

وربَّما تأتَّت له هذه القاعدة في الأخص من نقده ترجمة **"البؤساء"** لحافظ ابراهيم قائلا : « أحمد لحافظ هذه اللغة الغريبة الجزيلة، لأنها تدل على عناء وجهد عديمين، وأنكرها عليه لأنها تكاد تجعل هذا الجهد غير نافع ...وما رأيك في أن أقرأ النص الأصلي الفرنسي فأفهمه بلا عناء، وأقرأ ترجمته العربية فلا أفهمها إلاَ كارها » [34]

.

وعاب أن يعمد المترجم إذا ما ثقلت عليه الترجمة ليخفِف عنها ثقلها، تكلّف في الألفاظ الغريبة، وإلى الجري وراء الجمل الفخمة الضخمة ليخفي ضعفه في الفهم أو قدرته على الأداء.

ولترجمة حافظ إبراهيم عيوبا أحصاها طه حسين في نقطتين رئيسيتين هما أنَّه يلخّص مضمون الرواية ويهمل الكثير من مقاطعها فيقول «الأولى أن ترجمته ليست كاملة فهو يلخص ولا يترجم ...وقد أهمل الصفحة الأولى من الكتاب إهمالا تاما فلم يشر إليها بحرف وهذا نصها : لعل القارئ قد أحس أن مسيو مدلين لم يكن إلاَ جان فلجان لقد نظرنا في أعماق هذا الضمير، وقد آن أن نعيد النظر فيه ولن نفعل ذلك دون أن ينالنا الانفعال ويملكنا الاضطراب »[35].

لذلك تستدعي منزلة المترجم العظيمة، أن يحسن اللغة العربية التي ينقل إليها واللغة الأجنبية التي ينقل عنها وأن يحسن الفن الذي ينقله إحسانا تاما .

أما العيب الثاني، استعمال حافظ ابراهيم الألفاظ الصعبة، التي هي ليست دقيقة ولا حسنة الأداء، ولا تعطي الصورة الصحيحة للأصل، فيقول: «إنَّ ترجمته على ضخامة ألفاظها، وفخامة أساليبها، وعلى ما لها من روعة وجمال، ليست دقيقة ولا حسنة الأداء، وقد يكون لحافظ رأيه، ولكني أرى أنّ ليس لترجمته قيمتها حقا، إلاَ إذا كانت الصورة الصحيحة للأصل، وليست ترجمة حافظ كذلك، ولست أريد أن أطيل وإنّما أضرب مثلا واحدا »[36]، قال حافظ: «قدمنا بين يدي القارئ ما كان من أمر **"جان فلجان"** منذ سرق ذلك الغلام قطعته الفضية، وقد رأى كيف حال هذا الرجل إلى رجل آخر. كيف فعلت في نفسه كلمات العابد **(كذا ؟)** أفاعيلها فاختطفته إلى المعبود، وأخرجته من مسلاخ الشرة **(كذا)** والضغينة وأسكنته في إهاب من الفضيلة »[37]، وترجم طه حسين هذا المقطع، فقال: «وقال فيكتور هوجو: ليس لدينا إلا شيء قليل نضيفه إلى ما عرف القارئ من أمر **"جان فلجان"** منذ كان بينه وبين **"بي جارفيه"** ما كان، فقد رأيت أنه أصبح رجلا آخر منذ ذلك الوقت، فأنفّذ ما أراد الأسقف أن يصنع به صنع نفسه، شيئا أكثر من تحويل خلقها جديدا »[38].

دعا طه حسين إلى نهضة أدبية، وعمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح، مع المحافظة على مفردات اللغة وقواعدها، ولقد أثارت آراءه الكثيرين، كما وجهت له العديد من الاتّهامات ولم يبالي طه بهذه المعارضات القوية، ولكن استمر في دعوته للتجديد والتحديث ،فقام بتقديم العديد من الآراء التي تميّزت بالجرأة الشديدة، والصراحة؛ فقد أخذ على المحيطين به، ومن الأسلاف، من المفكرين، والأدباء ،طرقهم التقليدية في تدريس الأدب العربي، وضعف مستوى التدريس في المدارس الحكومية، ومدرسة القضاء وغيرها، كما دعا إلى أهمية توضيح النصوص العربية الأدبية للطلاب، هذا بالإضافة لأهمية إعداد المعلِمين الَذين يقومون بتدريس الُلغة العربية، والأدب ليكونا على قدر كبير من التمكن، والثقافة بالإضافة لاتباع المنهج التجديدي، وعدم التمسك بالشكل التقليدي في التدريس.

الإحـــــالات:

[1] - طه حسين رجل فكر وعصر ،أحمد علبي ، دار الآداب ،بيروت 1985 ، ص8،نقلا من كتاب مرآة لضمير الحديث لطه حسين ص117

[2] – في الآدب الجاهلي ،طه حسين ، دار الكتاب اللبناني بيروت ط2 1983 ص 67

[3] – الأيام ، طه حسين ، ج1، القاهرة 1971 ص 23

[4] – طه حسين رجل فكر وعصر ، أحمدعلبي ، ص 14

[5] – ماذا يبقى من طه حسين ؟ سامح كريم دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1977، ص 13-14 .

[6] – من مختارات النشر العربي، وداد قاضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص 503 .

[7] – قصة الضمير المصري الحديث بين الإسلام والعروبة والتعريب، صلاح عبد الصبور، منشورات اقرأ، بيروت لبنان، ب ت ب ط ، ص 146 .

[8] – انظر، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، مقالات جمعها وترجمها عن الألمانية والفرنسية عبد الرحمن بدوي(ط1؛ بيروت: دارالعلم للملايين، 1979 ،(ص5

[9]انظر أمثلة على ذلك في: ((ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية))، (القاهرة دار المعارف ،1956 ص 326-327.

[10] – طه حسين رجل وفكر وعصر، أحمد علبي، ص 496

[11] – طه حسين رجل وفكر وعصر، أحمد علبي، نقلا من رحلة الربيع لطه حسين، ص497 .

[12] طه حسين وسيكولوجية المخالفة، مصرى عبد الحميد حنورة، ص 99 .

[13] – المعذبون في الأرض، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1974، ص 823 .

[14] – دراسات في القصة القصيرة، يوسف الشاروني، ص 167

[15]– المعذبون في الأرض، طه حسين، ص 820 .

[16]– كيف تكتب القصة، عبد العزيز شرف، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2001، ص 93.

[17] – بول فاليري POLL VALLIRY ولدفي30 – 10 – 1871 بفرنسا فيلسوف وشاعر وكاتب ، يعد أحد زعماء المدرسة الرمزية توفي سنة 20 – 07 – 1945

[18] – أراغون ARAGON 1897 – 1982 شاعر وكاتب وسياسي فرنسي

[19]– طه حسين، رجل وفكر وعصر، أحمد علبي، ص 504 .

[20]– ماذا يبقى من طه حسين ؟،سامح كريم ،دار القلم بيروت لبنان ط2 1977 ص 13 14

[21]طه حسين وسيكولوجية المخالفة مصرى عبد الحميد حنورة، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006، ص 32 .

[22] – من حديث الشعر والنثر ،طه حسين ،دار المعارف ،مصر ،ط11، 1975 ، ص 17

[23] – حديث الاربعاء ،طه حسين ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1980 ،ص 16

[24] – لحظات ، طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، ط1 2012 ، ص8

[25] – طه حسين رجل فكر وعصر ،أحمد علبي ، ص 89

[26] – من بعيد ، طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، ط1 2012 ، ص9

[27] – لحظات ،طه حسين ، ص 7

[28] – المصدر نفسه ،ص 8

[29] – حديث الاربعاء ،طه حسين ، دار المعارف بمصر ، ط15 ، ب ت ،ص 13

[30] – قصص تمثيلية ، طه حسين ،دار العلم للملايين ،بيروت ط2 1985 ص 217

[31] – أوراق نقدية عن طه حسين ، يوسف بكار ، نقلا من كتاب نقد وإصلاح ،طه حسين دار العلم للملايين بيروت ط8 1980 ص 185

[32] – من أدب التمثسل الغربي ، طه حسين ، دار العلم للملايين بيروت ط6 1979 ص 29

[33] – مستقبل الثقافة في مصر ،طه حسين ،دار العلم للملايين بيروت ط1 1973 ص 4

[34] – حافظ وشوقي ،طه حسين ،المجلد 12 دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط1 1974 ص 423 – 424

[35] –المصدر نفسه ،ص 424

[36] – حافظ و شوقي، طه حسين، ص 424 .

[37] – البؤساء ، فيكتور هوجو، ترجمة حافظ إبراهيم، ص 422 .

[38] – حافظ وشوقي، طه حسين، ص 424 .